دور كيم» أو «ليفى بريل» اللذين لا نعرف لهما أو لغيرهما من علماء الاجتماع الفرنسى قولا فى مناهج الدراسة الأدبية وهم لا يعنون بالأدب إلا كمرآة للمجتمع ، ويفسرون الحياة الاجتماعية مستعينين بالأدب لا مستعينين بالحياة الاجتماعية .

والمنهج النفسى الذى يستخدمه الأستاذ العقاد فى دراسته لأبى نواس وابن الرومى والمتنبى وأبى العلاء عندما يحرص قبل كل شىء على أن يستخلص صورة نفسية لهؤلاء الشعراء من شعرهم دون حرص شديد على دراسة القيم الجمالية لهذا الشعر أو الحكم على صلته بالحياة وتعبيره عن قيم عصره وجنسه وبيئته ويخيل إلينا أن الأستاذ الدروبى قد ظلم العقاد عندما قال : إنه قد اصطنع المنهج النفسى ، فالعقاد إنما صدر ، كما سبق أن أوضحنا ، عن فلسفة عامة فى الحياة هى الفلسفة المولعة بالأصالة الفردية وبالشخصية المتميزة ، فهو يقول مثلا فى مقدمة كتابه عن «ابن الرومى- حياته من شعره» :

«هذه ترجمة وليست بترجمة لأن الترجمة يغلب أن تكون قصة حياة ، وأما هذه فأحرى بها أن تسمى صورة ، وأن تكون ترجمة ابن الرومى صورة خير من أن تكون قصة ، لأن ترجمته لا تخرج لنا قصة نادرة بين قصص الواقع أو الخيال . ولكننا إذا نظرنا فى ديوانه وجدنا مرآة صادقة ، ووجدنا فى المرآة صورة ناطقة لا نظير لها فيما نعلم من دواوين الشعراء وتلك مزية تستحق من أجلها أن يكتب فيها كتاب» .

ومع ذلك فإننا نظلم العقاد أيضا إذا قلنا إنه يهمل التاريخ فهو